منوعات

MEDIA

أخبار

جدّدت نيابة أمن الدولة العليا المصرية، حبس المترجم ورسام الكاريكاتير المصري أشرف عمر لمدة 15 يوماً، للمرة الثالثة منذ القبض عليه، وذلك على ذمة التحقيقات في القضية التي حملت الرقم 1968 لسنة 2024 حصر تحقيقات أمن الدولة العليا.

اتهم ناشطون ومستثمرون الحكومة بتعطيل نشاط الإنترنت في باكستان، أثناء اختبارها أدوات رقابة من أجل قمع نشاط المعارضة على وسائل التواصل الاجتماعي، الامر الذي يهدد التعافي الاقتصادي للبلاد. وأصبحت سرعة الإنترنت أبطأ بنسبة 40% أخيراً.

ذكرت صحيفة فايننشال تايمز، أن مسحاً جديداً لملفات شركات أميركية كشف أن أكثر من نصف أكبر الشركات ترى أن الذكاء الاصطناعي يشكل خطراً محتملاً على أعمالها، ويسلط هذا المسح الضوء على كيف يمكن للتكنولوجيا أن تؤدي إلى تحول صناعي كاسح.

تستعدّ شركة آبل لإطلاق إصدارها الجديد من السماعات اللاسلكية AirPods 4 خلال حدثها الذي يعقد في سبتمبر/أيلول المقبل. ويتميز النموذج الرئيسي من سماعات AirPods 4 بتصميم تستبدل آبل به الإصدار الحالي من سماعة AirPods 2.

منذ السابع من أكتوبر، كُشف في تقارير صحافية وحقوقية عن استخدام الاحتلال الإسرائيلي برمجياتٍ مختلفةً تعتمد على الذكاء الاصطناعي في استهداف المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة

الذكاء الاصطناعي أداةً للقتل في غزة

بيروت ـ **رضا حريري**

عام 2021 وصفت قوات الاحتلال الإسرائيلي معركة سيف القدس التي استمرت 11 يوماً بأنّها «أوّل حرب تخاض بالذكاء الاصطناعي». بعد ثلاث سنوات دخل الذكاء الاصطناعي مختلف المجالات، كما برز استعماله في الحروب والصراعات العسكرية، وهو ما يظهر في العدوان الإسرائيلي المتواصل على قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر/ تشرين الأوّل الماضي. قدّم الصراع المستمر بين روسيا وأوكرانيا منذ فبراير/ شباط 2022 صورةً جديدةً عن الحرب التكنولوجية، إذ يلعب الذكاء الاصطناعي دوراً رئيسياً في تشغيل الطائرات المسيرة وأنظمة التعرف على المعدات والقوات العسكرية، ممّا يسهّل المراقبة وجمع المعلومات الاستخبارية والمراقبة. كما يساعد طرفي النزاع على معالجة كمية كبيرة من المعلومات عن الميدان وتحليلها بطريقة أسرع من المحللين البشريين.

فيما جاءت حرب الإبادة الإسرائيلية على غزة لتقدّم صورة مرعبةً عن الشكل الدموي الذي يتخذه استعمال الذكاء الاصطناعي في حرب غير متكافئة تكنولوجياً، يتحوّل فيها إلى أداة للتدمير تعزّز العقاب والقتل الجماعي للفلسطينيين. طوال عقود شكلت غزة مختبراً لقوات الاحتلال من أجل اختبار أسلحة وتقنيات حديثة على الفلسطينيين قبل بيعها للخارج. خلال السنوات الأخيرة، استعمل الاحتلال طائرات من دون طيار وأسلحة آلية وأبراجاً تعمل بالذكاء الاصطناعي لإنشاء «مناطق قتل آلية» على الحدود مع القطاع. كما أطلق في عام 2021 روبوت عسكري اسمه «جاغوار»، وروّجه باعتباره «أحد أول الروبوتات العسكرية في العالم التي يمكنها أن تحل محل الجنود على الحدود». وجاء العدوان الحالي ليدخل الاحتلال مرحلة جديدة تعتمد إلى حد كبير على التكنولوجيا الصاعدة. من الصور المفبركة واستهداف الصحافيين وصولاً إلى «الأنظمة الذكية لتحديد الأهداف»، يلعب الذكاء الاصطناعي اليوم دوراً رئيسياً عند الاحتلال وجيشه في حرب الإبادة المتواصلة على القطاع المحاصر.

التضليل والدعاية

في الأسابيع الأولى التي تلت عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر الماضي، أطلق الاحتلال حملات دعائية مليئة بالأكاذيب ضد قطاع غزة والفلسطينيين، حاول من خلالها ترويج روايته لما جرى مع التركيز على نزعة الإنسانية عن الفلسطيني. كان الذكاء الاصطناعي وسيلةً مهمةً في يد الاحتلال وداعميه من أجل فبركة معلومات مضللة ونشرها تتماشى مع السردية الإسرائيلية عبر الإنترنت.

ووجّه الاحتلال اتهامات إلى المقاومة الفلسطينية بقتل الأطفال و«قطع رأس أربعين رضيعاً»، لكن مع افتقاره إلى الأدلة بدأت حسابات إسرائيلية بعرض صور مختلفة، أظهر أحدها جثة متفحمة على أساس أنها تعود لرضيع إسرائيلي، فيما أظهرت أخرى جندياً يحمل رضيعين «أنقذهما من أيدي عناصر حماس»، ليتضح لاحقاً أنّ كلّ هذه الصورة كانت ملفقةً باستخدام الذكاء الاصطناعي.

وكان موقع مسبار للتحقق من الأخبار والمعلومات، قد كشف في تقرير صدر في مارس/ آذار الماضي عن نشر الحسابات المؤيدة للاحتلال صوراً مختلقة أو معدلة بواسطة الذكاء الاصطناعي لترويج الدعاية الإسرائيلية. اعتمد «مسبار» على ملاحظة إخفاقات التقنيات التوليدية، مثل تشوهات شكل اليد وعناصر خلفية الصورة، وعدم التناسب بين أجزاء الجسم المختلفة، بالإضافة إلى لمعان بشرة الأشخاص في الصور، لتمييز هذه الصور. وعلى الرغم من المخاطر الناجمة عن استعمال الذكاء الاصطناعي في الحرب الإعلامية والبروباغندا لكنها لا تقارن بتلك الناجمة عن استخدامه في الحرب العسكرية، وهو ما يبيّنه الواقع الميداني في غزة.

> تساعد الطائرات من دون طيار على رسم خرائط للمواقع والأحياء

أنظمة تحديد الأهداف

خلال الأشهر القليلة الماضية، كشفت تحقيقات وتقارير صحافية مختلفة أنّ قوات الاحتلال تعتمد على أنظمة تعمل بالذكاء الاصطناعي لتوليد الأهداف التي يتعين قصفها، وأبرزها «غوسبل» الذي يحدد مراكز وبنى تحتية، و«لافندر» الذي يحدد الأفراد، و«Where is Daddy؟» لتتبع المسلحين المشتبه بهم واستهدافهم عندما يكونون في المنزل مع عائلاتهم.

وكشف موقع 972+ مطلع إبريل/ نيسان الماضي، أنّ نظام «لافندر» أنشأ قاعدة بيانات تضم عشرات الآلاف من الفلسطينيين الذين صنّفهم على أنهم أعضاء من ذوي الرتب المنخفضة في الجناح العسكري لحركة حماس. وعلى الرغم من أنّ تحليلات جيش الاحتلال توصلت إلى أنّ معدل خطأ «لافندر» يصل إلى 10% في تحديد ما إذا كان الشخص ينتمي إلى «حماس»، إلّا أنّها اعتمدت عليه من أجل إنشاء قوائم قتل لكل الفلسطينيين الواردة أسماؤهم.

أدى استعمال البرنامج الذي طوّرته الوحدة 8200 في استخبارات جيش الاحتلال إلى ارتفاع كبير في عدد الشهداء الفلسطينيين الذي تجاوز 40 ألفاً، إذ وصفت مصادر من جيش الاحتلال لـ«+972» كيف كان يُسمح للجنود بقتل المدنيين. وقال مصدران إنه خلال الأسابيع الأولى من الحرب، سُمح لهم بقتل 15 أو 20 مدنياً خلال الغارات الجوية على مسلحين ذوي رتب منخفضة. مع العلم أنّ الهجمات على مثل هذه الأهداف تُنفَّذ باستخدام ذخائر غير موجهة تُعرف باسم «القنابل الغبية»، مما يؤدي إلى تدمير منازل بأكملها وقتل جميع ساكنيها.

المراقبة والاستطلاع

اعتمد جيش الاحتلال كثيراً على الطائرات من دون طيار التي تعمل بالذكاء الاصطناعي وتقنيات المراقبة الأخرى، وذلك بهدف مراقبة قطاع غزة وسكانه. تساعد هذه الأدوات في رسم خرائط للمواقع والأحياء وفي رصد تحركات المقاتلين والمدنيين على حد سواء، كما تقدم بيانات مباشرة للمسؤولين العسكريين. واستعملت تقنيات الذكاء الاصطناعي من الاحتلال أيضاً في محاولاته للكشف عن شبكة الأنفاق التي تملكها حركة حماس تحت الأرض، ولرسم خرائطها، من أجل تدميرها. إضافةً إلى ذلك، وسّع الاحتلال نظام المراقبة البيومترية للفلسطينيين من الضفة الغربية والقدس إلى غزة. في مارس الماضي، كشف تقرير لصحيفة نيويورك تايمز الأميركية أن الجيش الإسرائيلي يستخدم نظام التعرف على الوجوه في القطاع، من أجل جمع وجوه الفلسطينيين وفهرستهم من دون علمهم. كما أشار التقرير إلى أنّ النظام يعتمد على تكنولوجيا من شركة كورسايت الإسرائيلية و«غوغل» لاختيار الوجوه من الحشود وحتى من لقطات الطائرات بدون طيار.

مخاوف

أثار استخدام الاحتلال للذكاء الاصطناعي في حرب الإبادة المستمرة على غزة مخاوف جهات مختلفة وإدانتهم، من بينها خبراء الأمم المتحدة الذين أدانوا في إبريل/ نيسان الماضي لجوء جنود الاحتلال إلى أدوات الذكاء الاصطناعي في عملياتهم العسكرية، واعتبروا أنّها «تساهم في تفسير العدد الكبير للقتلى وتدمير المنازل في غزة».

بحسب المعارضين له، يتناقض استعمال أنظمة الذكاء الاصطناعي مع حقوق الإنسان، وتحوّلهم إلى أرقام إحصائية، وتخفّف من المسؤولية البشرية في عمليات القتل الجماعي، عدا عن أنّ أنظمة التعلم الآلي أثبتت مراراً أنّها تفتقر إلى الدقة ولا تستطيع التنبؤ تنبؤاً موثوقاً بصفات بشرية معقدة، بالإضافة إلى أنها مدرّبة باستخدام بيانات معيبة أو منحازة.

في خانيونس، نوفمبر 2023 (فرانس برس)

في أوكرانيا أيضاً

استُخدمت أدوات الذكاء الاصطناعي بشكل موسع منذ بدء الحرب الروسية على أوكرانيا. وتعمل هذه التقنيات على تعزيز قدرة كلا الجيشين، بحيث يسعى كل منهما إلى تحقيق تقدّم استراتيجي على الآخر. وكان أحد التطبيقات الأساسية للذكاء الاصطناعي في الحرب، هو جمع المعلومات الاستخبارية والمراقبة؛ إذ استُخدمت الطائرات المسيّرة المجهزة بكاميرات وأجهزة استشعار تعمل بالذكاء الاصطناعي على نطاق واسع، في مهام الاستطلاع التي توفر البيانات والصور في الوقت الفعلي. ودُرّبت أنظمة ذكية على تعرّف المعدات العسكرية وتحركات القوات والأصول الاستراتيجية الأخرى، ما يتيح للقيادات العسكرية اتخاذ القرارات، بناءً على البيانات التي جُمعت.

ويساعد الذكاء الاصطناعي كلا الجيشين على معالجة كميات كبيرة من المعلومات حول ساحة المعركة، التي قد تشكل تحدياً كبيراً للمحللين العسكريين. ونُشرت تقارير كثيرة عن استخدام كلا الجانبين طائرات مسيّرة يمكنها التنقل مستقلة عبر البيئات المعقدة، وتحديد الأهداف، وتقييم الضرر بعد الهجمات. ويمكنها أيضاً تحديد الأهداف والاشتباك معها بناءً على معايير مبرمجة مسبقاً، ما يقلل كثيراً من الوقت لاتخاذ القرار في المواقف القتالية. ومع تحسين أوكرانيا وروسيا كيفية استخدام الذكاء الاصطناعي في الطائرات من دون طيار، ستكون هناك تداعيات كبيرة على الصراعات المستقبلية، حيث أصبحت هذه التكنولوجيا منخفضة التكلفة، أكثر انتشاراً. وكان الذكاء الاصطناعي أيضاً عاملاً مهماً في الجانب السيبراني للصراع. فالهجمات الإلكترونية الروسية ضد أوكرانيا سبقت الغزو البري واسع النطاق في فبراير/شباط 2022، وكانت أداة في حرب روسيا متعددة الأوجه ضد أوكرانيا لسنوات.

فعالية

افتُتح، أخيراً، في مدينة رام الله، معرض يحمل عنوان «أم تحت الإقامة الجبرية»، أنجزت لوحاته الصحافية الفلسطينية المقدسية، لمى غوشة، وتناولت فيها حبسها المنزلي

لمى غوشة
أم تحت الإقامة الجبرية

رام الله ـ **بديعة زيدان**

«أم تحت الإقامة الجبرية». من جاء ليرى معرضاً فنّياً يُقيّمه وينقد حسب معايير فنية صرفة، فلربما هو في المكان الخطأ. بين الجدران بعود الفن بسيطاً مُتاحاً، غير متكلف، وغير مكترث بتعقيدات المشهد الفني. هنا ينزل الفن من أبراجه العاجية ويغدو تعبيراً حرّاً حميماً، يبوح باختلاجات النفس عندما تسجن الروح».

بهذه العبارات، اختصرت الكاتبة والمخرجة الفلسطينية، ليلى عباس، حكاية معرض اللوحات التي تعكس يوميات على مدار عشرة أشهر قضّتها الصحافية الفلسطينية المقدسية، لمى غوشة، حبيسة منزلها بقرار الاحتلال، مُرفقة كل لوحة بنص، مؤكدة كونها صحافية بالمقام الأول، دافعت عن الكلمة ودفعت ثمنها.

تحاكي تجربة الصحافية لمى غوشة بوصفها أماً في الحبس المنزلي الذي فرض عليها في بيت عائلتها الكائن في حي الشيخ جراح بالقدس، منذ الرابع من سبتمبر/أيلول 2022 وحتى يوليو/تموز 2023، إذ يضم 31 لوحة رُسمت داخل جدران البيت، في محاولة من مبدعتها لكسر حاجز الصمت، بسبب الحبس المنزلي بكونه أداة عقابية استعمارية متوارثة من الاحتلال البريطاني، مشروطاً بقرار منع الاتصال والتواصل، لعزلها عن المحيط الاجتماعي، والحيّز الافتراضي، ما أدى إلى تشويه صور البيت، ونزع خصوصيته مكاناً للوجود والامتداد الفلسطيني، حين يتحوّل إلى سجن. تجسّد لوح «حجر الحريّة» معنى الحبس المنزلي (الإقامة الجبرية)، فيشترط الاحتلال وجود قيد إلكتروني يُربط بقدم الأسيرة أو الأسير، حتى يسهّل عليه عملية مراقبته أمنياً والسيطرة على تحركاته. ففي حال خروجه من حدود المنزل، يعطي السوار الإلكتروني (الأزيك باللغة العبرية) تنبيهاً للمسؤولين من إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية لإعادة اعتقال الحبيس أو معاقبته، وهنا يبرز البيت مكانَ قهرٍ واحتجاز، وليس مساحة أمان وراحة.

> تجسد اللوحات المعروضة رحلة بحث لمى غوشة عن معنى الحرية

أما «تأملات في معنى الحرية»، فتجسد رحلة بحث غوشة وتساؤلاتها عن «المعنى الحقيقي للحرية في السياق الاستعماري الذي تعيشه فلسطين المحتلة»، وكان ذلك عبر تجربتها في السجن الفعلي، والحبس المنزلي، وسجن المجتمع، فيما كانت «زنزانة في بيتي» أول لوحة ترسمها غوشة، بعد شهر من حبسها المنزلي، وتحكي مشاعر القلق، والخوف، والعزلة، والإقصاء، والغربة التي يمثلها مفهوم «الحرية المجتزأة أو المشروطة»، وكان الزنزانة باعتبارها مكان احتجاز عنيف وقمعي انتقلت معها من السجن إلى أكثر مكان حميمي بعد الوطن، أي «البيت».

كان لافتاً حضور حنظلة، شخصية فنان الكاريكاتير الفلسطيني الشهيد ناجي العلي، في عدد من رسومات غوشة، فضلاً عن حضور الشاعر الفلسطيني محمود درويش في عناوين بعضها، كـ«حالة حصار». فيما لم تخلُ الرسومات من سرد ليس فقط ليوميات الحبس المنزلي، بل ليوميات الزنزانة والحبس الفعلي، ووسائل التعذيب المتعددة التي يمارسها السجّان الإسرائيلي، والتي ازدادت قسوة بعد السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2024، حتى بات ما يحدث في السجون عملية إبادة للأسرى، اشتملت قاعات مركز خليل السكاكيني الثقافي، التي تحتضن المعرض، على غرفة تفاعلية لمعرض «أم تحت الإقامة الجبرية»، جميع أدواتها هي التي استخدمتها لمى غوشة من داخل الحبس المنزلي (الإقامة الجبرية)، داعية الزوّار إلى المشاركة برسوماتهم وكتاباتهم في أي مواضيع يحبّونها.

تقول لمى غوشة لـ«العربي الجديد» إنها رسمت مع طفليها علم فلسطين، ومن هنا بدأت بتوثيق قصتها رسماً وكتابة، فوضعت بحثاً بعنوان «سوسيولوجيا الحبس المنزلي» حاز جائزة إبراهيم الدقاق للبحوث عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية. وأشارت إلى أنها اتجهت إلى الرسم وسيلةً «للهرب من قساوة هذا النوع من العقوبات الاجتماعية»، مؤكدة أنها ليست فنانة ولا تطمح إلى ذلك، وهي صحافية، لكنها استخدمت هذه الرسومات لرسم قصة مبتكرة، من دون تخطيط مسبق، لتحكي للعالم عمّا يحدث للمقدسيّين، وخصوصاً الأطفال والنساء، جراء ما يُعرف بالحبس المنزلي أو الإقامات الجبرية، لافتة إلى أن قرابة سبعين مقدسياً الآن يعيشون هذا الاعتقال العنيف أيضاً، وعلى أكثر من مستوى، حتى إن بعض الأطفال من المعتقلين داخل منزلهم حاولوا الانتحار، مشددة على أن هذه الفئة من الفلسطينيين، وهي واحدة منهم، «مهملون ولا يتم الحديث عنهم»، معبرة عن أملها بعرضه في عواصم ومدن عربية وعالمية. أوضحت غوشة أن كل لوحة من المعرض تعبّر عن مشاعرها بصفتها أسيرة في منزل عائلتها، بسبب كتاباتها، واتهامها بالتحريض، لافتة إلى أنه بعد اعتقالها الفعلي، كان الحبس المنزلي، ترفع بهذه اللوحات وهذا الحدث صوتها عالياً ولتعزي زيف الاحتلال بادعائه أنها «عقوبة ناعمة»، لافتة إلى أنها لا تزال مهددة بالسجن، مع أنها منذ عامين تتعرض لكل هذه العقوبات من دون محاكمة.

ولفتت غوشة في حديثها إلى أن «الألم وقسوة الظروف تُخرج ممن يعيشها ويعايشها احتياجاً ما، لذا اتجهت إلى الرسم لتفريغ هذا الاحتياج، والتعبير عن الصوت الذي حُرمت التعبير عنه»، مبينة أنها اختارت توصيف «أم» في عنوان المعرض، لكون «الأمومة كانت العامل الأساسي الذي تم استغلالي عبره، سواء خلال فترة التحقيق معي، أو طوال تعامل المنظومة القضائية أو الاستخباراتية الإسرائيلية معي، باعتبار أن الأطفال نقطة ضعف كل أم، خصوصاً أنهم عاشوا معي كل المراحل الصعبة، بدءاً من لحظة اعتقالي إلى يومنا هذا».

الجهات إلى الرسم للتخلّص من عبء الإقامة الجبرية (العربي الجديد)

يوميات الاعتقال

لفت الفنان الفلسطيني سليمان منصور (الصورة)، احد داعمي غوشة في مشروع توثيقها ليوميات الاعتقال المنزلي، الى انه «لاول مرة يشارك في معرض الجميع على قناعة، بمن فيهم صاحبه، بانه ليس معرضا فنيّا»، فـ«أم تحت الإقامة الجبرية» عبارة عن «هشة غل»، وتعبير عما اختلج في دواخل لمى غوشة في فترة اعتقالها المنزلي من مشاعر، لكنه لمس لديها «روحا فنيّة، واصرارا عجيبا، ومثابرة كبيرة، وهذه مواصفات الفنان الحقيقي».

رصد

«مواعدة سريعة» في لندن

في أحد مطاعم العاصمة البريطانية لندن، خلال لقاء بعنوان «مواعدة سريعة» هدفه «بالغ الأهمية» اختيار رفيقة السكن المثالية، تجيب جوزفين رايت بمرح عن أسئلة مُحاوِرتها. وفي غياب أي رجل، جمع هذا اللقاء نحو 60 مُشاركةً دفعت كلٌّ منهنّ 7,50 جنيهات إسترلينية (عشرة دولارات)، على أمل حلّ المعضلة التي يمثّلها غالباً البحث عن سكن في العاصمة البريطانية. يشارك الجميع في لعبة الأسئلة والأجوبة، سواء ضمن مجموعة أو فردياً. ومن دون زخرفات ولا مقدمات ولا مضيعة للوقت، تشرع المشاركات في التحدث عن الأحياء التي يفضلنها، وعن المهن والأصول والهوايات. ويُفترَض بكلّ مشاركة أن تتحدث إلى أكبر عدد من المشاركات الأخريات خلال ساعتين. ورغم هاجس السباق مع الوقت، يبقى الجو مريحاً، وتكثر الضحكات.

عددت جوزفين رايت (25 عاماً)، أسماء الأحياء الثلاثة التي تفضّلها وهي غرينتش وووليتمستو ولويشام، لمشاركة أخرى بالقرب من لافتة «إيست» East، أي شرقي لندن، حيث ترغب في أن تعيش. وتضع كلاهما سواراً أزرق، إذ تبحثُ كلاهما عن زميلات يشاركن السكنَ لا عن مكان للإقامة في حد ذاته. ويضع عدد أقل من المشاركات سواراً أرجوانياً يشير إلى أنهنّ يستأجرن أصلاً مسكناً ويرغبن في تشارُكه مع أحد. وأوضحت إحدى مؤسسات «غيرليز غايد» Girlies Guide رايتشل مور (26 عاماً)، أن «وجود أشخاص ثلاثينيين وأربعينيين يتقاسمون السكن أمر خاص بلندن». وهذه المجموعة التي تضم شابات على الشبكات الاجتماعية هي وراء هذا الحدث، في حين أن بعض الشابات يفضلن أكثر العيش مع رفاق سكن من الإناث. كثير من المشاركات لا يستطعن استئجار شقة في لندن بمفردهنّ، حتى بميزانيات تبدو مريحة تصل إلى 1500 جنيه إسترليني شهرياً (1930 دولاراً). وتروي إيوانا، وهي مُدرّبة يونانية تبلغ من العمر 22 عاماً: «إذا كنت تريد شقة بأكملها، فإيجارها يراوح تقريباً بين 1500 و1800 أو حتى 2000 جنيه إسترليني شهرياً، أو ما بين 1930 و2540 دولاراً. أما في السكن المشترك، فيمكن العثور على غرف بأقل من ألف جنيه».

تنفق الأسر في لندن نحو 40% من دخلها على الإيجار المنزلي

في قطاع غزة، إذ سُرق بعد ساعات من نشر صورته على صفحة بانكسي. وهنا تظهر مفارقة من نوع ما: سهولةُ سرقة العمل تتعلق بمكان إنجازه الذي يختاره بانكسي نفسه؛ فبين عمل أنجز على جدار الفصل العنصري يحتاج إلى أيام لتفكيكه وسرقته، وعمل يمكن سرقته بدقائق، يمكننا مساءلة بانكسي ورغبته باستمرار هذا العمل وحضوره في الفضاء العام، الذي يبدو أن بانكسي في حالة الإبادة في قطاع غزة اختار لعمله مكاناً تسهل سرقته. هل «تعب» بانكسي؟ أم اختار اللعب بأمان؟

جمع لقاء «مواعدة سريعة» في لندن نحو 60 مشاركة (هيري نيكولز/ فرانس برس)

معرض

أندريس سيرانو... كلّ شيء عن دونالد ترامب

ريم ياسر

من هو دونالد ترامب الذي ينافس على منصب الرئيس في الانتخابات الأميركية؟ قد يبدو السؤال غريباً، فالرجل سبق أن تولى رئاسة الولايات المتحدة الأميركية ويعرفه العالم جيداً. ومن لا يعرف دونالد ترامب؟ الرئيس الأكثر استقطاباً في تاريخ الولايات المتحدة؟

الفنان والمصور الأميركي أندريس سيرانو (Andres Serrano) لا يرى أن طرح مثل هذا السؤال غريباً، فرغم شهرة ترامب، إلا أننا نكاد نجهل حقيقته، هو حتى قد لا يعرف نفسه. هكذا يقول الفنان الذي أمضى أعواماً في جمع كل ما يتعلق بترامب وحياته، منذ صعود نجمه في الثمانينيات حتى توليه رئاسة الولايات المتحدة الأميركية. جمع أندريس سيرانو كل ذلك في كتابه «اللعبة: كل شيء عن ترامب» (2020)، وحظي باهتمام لافت حتى من ترامب نفسه. نشر الرئيس الأميركي السابق قبل أيام صورة له وهو يحمل نسخة من الكتاب محتفياً ومتفاخراً بضمها إلى مكتبته. ربما اعتبر مضمون الكتاب نوعاً من المدح في شخصه. ما الذي يمكن أن يجمعه فنان بصري مثل أندريس سيرانو عن دونالد ترامب إذاً؟ منذ أن قرر تتبع سيرته قبل ستة أعوام، جمع الفنان كل شيء له علاقة بترامب. راوحت المقتنيات التي جمعها سيرانو بين المتعلقات الشخصية والأوراق الرسمية وغير الرسمية والألعاب والرسوم الهزلية التي حصل على أغلبها عن طريق المزادات، أو من على موقع إي باي (eBay). بعض هذه العناصر تبدو تافهة، كعبوات مثبت الشعر أو أوراق اللعب، لكنها قد تضيء جانباً من هذه الشخصية المتناقضة لترامب كما يقول الفنان. من المهم أن نذكر أيضاً أن سيرانو قد أنفق ما يزيد عن 200 ألف دولار في رحلة بحثه هذه كما يقول. يضم كتاب سيرانو صوراً لكل هذه الأشياء الغريبة التي جمعها في سبيله لرسم صورة قريبة لشخصية ترامب.

الكتاب نفسه يُمثل مرجعاً لمعرضين متزامنين عن ترامب؛ الأول في هولندا والآخر في فرنسا، وكلاهما تحت إشراف مؤلف الكتاب. المعرض المُقام في هولندا تستضيفه مؤسسة غرونينغن (Groningen) للفنون حتى الخامس من نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل، تحت عنوان «أميركا وترامب»، ويضم ثلاثة مشاريع فنية قدمها سيرانو خلال مسيرته المهنية. في هذه المشاريع الثلاثة، سعى الفنان إلى استكشاف صورة المجتمع الأميركي محاولاً فهم الكيفية التي أوصلت رجلاً مثل دونالد ترامب إلى أعلى منصب في الولايات المتحدة.

أول هذه المشاريع الفنية هو «أميركا»، وهو عبارة عن سلسلة من الصور الفوتوغرافية لأشخاص أميركيين من مستويات اجتماعية مختلفة، من رجال الإطفاء ومدمني المخدرات والمُشردين إلى نجوم المجتمع الأميركي، مثل ترامب نفسه. هذه المجموعة من الصور التي عرضها الفنان لأول مرة في عام 2004، تمثل وجه أميركا كما يقول سيرانو، فكل شخصية من هذه الشخصيات التي انتقاها تعبر عن جانب مختلف في المجتمع الأميركي المليء بالتناقضات. المشروع الثاني عبارة عن شريط فيديو قصير أنتجه الفنان في عام 2022 تحت عنوان «تمرد»، وهو أول تجربة للفنان في توظيف الفيديو في أعماله. ويأتي العمل استجابة لأحداث السادس من يناير/ كانون الثاني 2021، عندما تحولت الاحتجاجات ضد نتائج انتخابات نوفمبر 2020 إلى هجوم على مبنى الكابيتول بالولايات المتحدة.

> تتبّع سيرانو سيرة دونالد ترامب وجمع عنه كثيراً من الوثائق

أما المشروع الأخير «اللعبة: كل شيء عن ترامب» فيحتل الحيز الأكبر من مساحة العرض، وهو عبارة عن تركيب من العناصر التي جمعها الفنان وتُغطي مساحة طابقين من المبنى. يُعبّر التركيب عن العالم الذي بناه دونالد ترامب حول نفسه منذ الثمانينيات من القرن الماضي. يضم التركيب نحو ألف قطعة، من الهدايا التذكارية والأوراق والعناصر التي تحمل أسماء الفنادق والكازينوهات التي يملكها، إلى الأدوات الرياضية وأغلفة المجلات والصور الفوتوغرافية. بين المعروضات قبعة حمراء نُقش عليها الشعار الذي استخدمه ترامب في حملته الانتخابية «لنجعل أميركا عظيمة مرة أخرى».

ما الذي يمكن أن يجمعه فنان بصري مثله أندريس سيرانو عن دونالد ترامب؟ (جويل ساغيت/ فرانس برس)

إضاءة

بانكسي ينجز أعماله وينتظر سرقتها

أنجز فنان الخرافيتي غامض الهوية بانكسي، أخيراً، مجموعة أعمال على جدران لندن، بدت أقرب إلى التزيين أو رفع الوعي تجاه التغير المناخي

عمّار فراس

لم ينس عشاق عالم الفن ما شهدته صالة سوذبي للمزادات الفنيّة في عام 2018، حين تمزّقت لوحة بانكسي التي تحمل عنوان «طفلة تحمل بالونٍ» المعروضة للبيع بسعر يتجاوز المليون باوند، في احتجاج على سياسات سوق الفن، لتباع بعدها بسعر يتجاوز الـ18 مليون جنيه إسترليني تحت اسم «الحب في القمامة». الضجة التي أثارها هذا الحدث لم تغير شيئاً، ولم تؤثر في نشاط بانكسي الذي تحول الآن إلى شأن اعتيادي، خصوصاً أنّ «أعماله» تتحدى تعريفات الفن التقليدية، بل تحولت إلى «سلعة» يستفيد منها فلسطينيو الضفة الغربية، عبر قصها وبيعها عن الجدران، كما يكشف لنا وثائقي «الرجل الذي سرق بانكسي» (2018).

كلّ هذا الجدل حول بانكسي لم يعد له الألق السابق، بل تحولت أخباره إلى مقاطع ساخرة على وسائل التواصل الاجتماعي، إذ انتشرت أخيراً عدة مقاطع لأعماله التي تُسرق، وربما تباع، كما حصل مع جدارية له في لندن بيعت بمليوني جنيه إسترليني، إذ سُرق طبق استقبال عليه «لوحة» لبانكسي من لندن، كما فكك عمال بناء «لوحة» له على شكل قطة، في حين خُرّبت أخرى بشكل وحيد قرن. سلسلة الحيوانات هذه تعرضت إلى التخريب والسرقة، كأي عمل غرافيتي معرّض إلى التلاشي والسرقة. لكن، يبدو أن بانكسي لم يعد يثير الجدل الكافي، خصوصاً أنّ أعماله هذه، في لندن، موجودة في مناطق لا تحوي خطراً، ولا مشاكل سياسية فيها، أي أنّ عمله أصبح أقرب إلى التزيين ورفع الوعي، من دون إثارة مشاكل مع السلطة وتحديها، سواء كنا نتحدث عن جداريته في الأراضي المحتلة، أو حادثة تقطيع لوحة في صالة مزاد. كأنّ بانكسي الآن يلعب في الجانب الآمن. ربما سلسلة الحيوانات التي ينجزها بانكسي ليست إلّا رد فعل على موجة الاحتجاجات ضد التهديد الذي يتعرض له المناخ، والذي بلغ حد الاشتباك مع الشرطة في بريطانيا على يد منظمة «أوقفوا النفط» وتخريب الأعمال الفنية، كما حصل حين خربت لوحة لفان غوغ. في هذا السياق، يبدو بانكسي مسالماً ولا يرغب بالاشتباك.

هالة بانكسي هذه لطالما تعرضت للانتقاد، خصوصاً أنه يحاول دوماً الاستقلال عن المؤسسة الرسميّة، بل السماح لـ«اللصوص» بسرقة أعماله وبيعها. تتضح هذه المواجهة في موقفه من المعرض الفنيّ الذي أقيم في باريس لـ«أعماله» والذي واجه انتقاد الصحافيين وبانكسي نفسه الذي اعلن أن لا علاقة له به، كون المعروضات ليست أصلية، بل نسخ من أعماله. هنا، يتضح مثلاً أنّ بانكسي مصمم على الحفاظ على سرية هويته، والأهم مشاع ملكية أعماله للجمهور فقط، وليس لأيّ مؤسسة. مشاعية الملكية هذه تتضح في العمل الذي فسره كثيرون بدعوة إلى وقف إطلاق النار

من الأعمال المُنجزة أخيرا (دان كيتوود/ Getty)